الفصل الحادي عشر

الفاتح

" إذا كانت عظمة المقصد ، وقلة الوسائل ، وضخامة النتيجة – تمثل المقاييس الثلاثة لعبقرية الرجل .. فمن ذا الذي يجرؤ على أن يقارن بمحمد – من الوجة الإنسانية – رجلا من عظماء رجال التاريخ المعاصر ؟... إن أشهر أولئك لم يهزوا إلا أسلحة ، وقوانين وامبراطوريات ، ولم يؤسسوا – إذا أسسوا شيئا على الإطلاق – سوى قوى مادية غالبا ما تنهار قبلهم ....أما هذا الرجل فقد هز أسلحة ، ودساتير وامبراطوريات ، وشعوبا ، وممالك ، وملايين من الرجال على ثلث المعمورة .... ثم أنه زاد فهز أسلحة مذابح المعابد ، والألهة ، والديانات ، والأفكار ، والمعتقدات . والأرواح .. وأسس في كتاب كل حرف فيه قد عدا قانونا ، قومية روحية تشمل شعوبا من كل لسان ولون .... وأوحى مكطابع لا يمحى لهذا الوطنية الإسلامية ، كراهية الألهة الزائفة ومحبة الإله الواحد المنزه عن المادة ...هو نبي ، وهو فيلسوف، خطيب ، مشرع ، محارب ، فاتح افكار وعقول ، مقيم لشريعة عظيمة حية ، مؤسس لعشرين إمبراطورية أرضية ولأمبراطورية روحية ...ذلكم هو محمد .... أي رجل أعظم منه في كل المراقي التي تقاس فيهاالعظمة الإنسانية ؟ ..."

٥ د: إيفادي فترى مايرفيتش

((عضو المركز الفرنسي للبحث العلمي – باريس))

obeikandl.com

obeikandl.com

حينما ننظر إلى شخصية محمد - ﷺ - ومكونات تلك الشخصية وسماتها ومواصفاتها ، وكيفية تعاملها مع العالم حولها ، وهذا الأسلوب الراقي والسامي الذي تبنته واختارته ، ليكون طريقها في الانفتاح على العالم ... نتعجب كيف يتأتى لتلك الشخصية أن تجنح إلى الحرب والقتال ؟!

نعم ، إن الحرب فرضت عليه ، ولم يكن هناك مناص من أن يحمل السيف للدفاع عن المسلمين تارة ، والدفاع عن العقيدة تارة أخرى ، وأيضا للدفاع عن حرية الاختيار للشعوب والأمم التي أمر أن يعرض عليها الإسلام ؛ لتختار بملء إرادتها وكامل حريتها ، ويخلصها من هذا الجبروت والطغيان والظلم الذي كان يمثله حاكم ظالم أو سلطة غاشمة ، لا تريد لشعوبها أن تعرف أو تدرك أو تعي أو تفهم غير ما يراد لها ، فالشعوب بالنسبة لهؤلاء كالسوام ، وكالعبيد يسيرونها كيفما يشاءون وحسبما يريدون ، ويعتبرون أن هذا حقهم ، وآفة الحكام الطغاة في كل عصر أنهم يعتبرون الظلم والاستبداد والطغيان والجبروت حقا من حقوقها التي تدافع عنه وتريق في سبيله الدماء ، وتزهق دونه الأرواح والمهج ، ويرون في الشعوب التي تطالب بحقها في العدل والعيش والحياة الحرة الكريمة ، أنهم شعوب عاصية متمردة خارجة عن القوانين ، يحق أن ينزل بها أنكى وأشد أنواع العذاب من تنكيل وسجن وقتل وسحق للآدمية وامتهان للإنسانية ، جزاءا وتأديبا وعقابا على تطاول تلك الشعوب على أسيادها ، وتجرأ من تلك الأمم على آلهتها .

مع كل تلك المبررات التي سوغت وأحازت السيف للرسول ، نجد أن شخصية الرسول لا تتفق ولا تتواءم ولا تتلاءم مع أساليب الحرب والقتال ، وما تحفل به من قسوة وغلظة وعنف ودماء وأشلاء .

فلا الحرب تناسب شخصية الرسول .

ولا شخصية الرسول تتناسب مع الحرب .

وفي نفس الوقت هناك حتمية للحرب والقتال .

ليس هذا فحسب بل هناك أمر بالقتال من الله :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ الحج: ٣٩ .

وحينما ننظر إلى شخصيات الأنبياء بصفة عامة ، نرى أن خيار الحرب في ذيل قائمة اختيارتهم ، هذا إن لم يسقطوه من الحسبان والاعتبار ، فهم قد أتوا ليهدوا ويرشدوا ، ووسائلهم في ذلك الموعظة الحسنة والإقناع : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥

أتوا ليعالجوا المرضى بأمراض الكفر والفسوق والعصيان ، وهم – الأنبياء – أدرى الناس بمواطن الضعف الإنساني ، وأن المرض والضعف يدران العطف والشفقة أكثر مما يثيران الكراهية والمقت .

إذن هناك مكونات شخصية لا تناسب ولا تتناسب مع الحرب .

وهناك حتمية وإلزام للحرب ، بل هناك أمور وقضايا لا تحسم إلا بالحرب .

على هذا هناك أمران لا ثالث لهما :

- إما أن تتغير الشخصية وتتبدل لتناسب وتتناسب مع الحرب .
- وإما أن يبحث عن طرق وأساليب لحسم الأمور والقضايا والمشكلات والأزمات بغير الحرب – والتي في نفس الوقت لا تحسم إلا بالحرب – وعدم حسمها بالحرب قد يؤدي إلى تفاقم الأمور وتعقيد القضايا ، بل قد يكون فيه تهديد لوجود وبقاء الدعوة ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج: ٤٠

لذلك فهذا الأمر مستبعد لأن كل الخطط والمشاريع تستدعيها مصلحة الدعوة في المقام الأول .

إذن تغيير الشخصية ليس واردا .

واستبعاد الحرب ليس واردا أيضا .

فلتكن حربا تتناسب وشخصية النبي ، وفي نفس الوقت تحقق مصلحة الدعوة ، ولن تكون الحرب بهذا النوع والكيفية إلا إذا كانت حربا مقدسة ، يقودها ويديرها نبي ، ولها مواصفات يضعها النبي ويلزم الآخرين بها ، وتلك الحرب لن يكون لها من الآثار ما للحرب من هيمنة وسيطرة المنتصر ، وإذلال وخضوع المنهزم ولن ترفع أقواما وتعز شعوبا ، وتخفض أقواما وتذل شعوبا ، وإنما هدفها الأول والأخير الاقناع وتأصيل مبدأ الحرية ، وهذا في حد ذاته من أعظم مبادئ الدعوة الإسلامية وهو كفالة حرية المختلف معها

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ الكافرون: ١ ـ ٦

ومن وصاياه ﷺ : " اغزوا باسم الله في سبيل الله ؛ قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادفعهم إلى ثلاث خصال ، فأيتهن ما أجابوك فأقبل فيهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ولا يكون لهم في الغنيمة والفئ شئ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم " .

- الغزو باسم الله .
- الغزو في سبيل الله .
- تحديد نوعية الكافرين ... وهم الكفار .
- محاذير القتال ، بدون غل ، بدون غدر ، بدون تمثيل .

- قانون الحرب : إذا كان عدوك من المشركين أعرض عليهم ثلاثة أمور، وهنا يظهر بجلاء الغرض والمقصد الحقيقي للحرب ، ليس قتلا وأشلاءا واستعلاءا ، مبدأ الحرية مضمون ومكفول ، الحرية في الاختيار ، وتحمل مسئولية هذا الاختيار ، ونلاحظ هنا تقرير مبدأ الحرية لعدو مشرك ، أولا الدعوة إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، ولا بأس عليهم في هذا فهم سيصبحون من نسيج الأمة ، فلهم ما للمهاجرين .
- فإن رفضوا ، فهم كأعراب المسلمين ، لا يكون لهم في الغنيمة شئ ؛ لأن الغنيمة والفئ حق للمجاهدين ، والجهاد حرية ، وليسوا مجبرين عليه ، لا يريدون الجهاد فليبقوا كأعراب المسلمين .
- فإن رفضوا هذا الوضع – هنا أيضا مبدأ الحرية – فقد اختاروا – هم الذين اختاروا وليس المسلمون – الحرب والقتال .

" لم ينتشر الإسلام بالحرب ولا بالسيف ولا بأي أسلوب من أساليب القوة والقهر ، بل أن مشروعية الجهاد يتلخص حكمها في الدفاع عن الدين وتأمين الطرق أمام الدعوة الإسلامية وفي الدفاع عن النفس والوطن ، فهو جهاد في سبيل الله ، لا صلة له بأساليب القهر والسطو والاستعمار " [١٦٠]

لو استعرضنا جميع الحروب التي خاضها البشر ، منذ بدء الخليقة حتى الآن فلن تجد حربا روعى فيها القيم والمبادئ الإنسانية ومحاولة حقن الدماء وتلافي المآسي والأضرار التي تنتج عن الحرب مثل حروب الإسلام ، ألم يقل الرسول – ﷺ – إن حرمة دم المسلم لأشد عند الله من حرمة الكعبة ؟ويقول : ((لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق)) رواة ابن ماجة .

١٦٠- الأمن في الإسلام – د. أحمد عمر هاشم – صفحة (٢١)

وكثرت وصايا وتعاليم وأوامر الرسول لقادة جيوشه أن يجتنبوا معنى الحرب والقتال عن غرائز الانتقام أو الثأر أو التشفي ، وأن ينزهوا الجهاد عن الأغراض المادية ، فالحرب والقتال والجهاد في سبيل الله ولا سبيل بعده " لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا ولا فانيا ولا معتزلا بصومعة ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء " ، وتكاد لا تخلو غزوة من غزوات الرسول أو معركة خاضتها الجيوش بدون أن تكون هناك تعاليم نبوية بل هي أوامر ملزمة لا يجد المقاتل المسلم مناصا من الانفكاك منها ، وأكثر ما كان يغضب الرسول حينما يجد امرأة أو شيخا مقتولا في ميدان من ميادين المعركة .

والمعاني والمقاصد والدلائل مشرقة وضاءة في يوم فتح مكة ، فطبائع الأمور والمعهود حينما تتم فتح مكة أن يكون المكيون أسرى حرب يقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء ، وكان هذا الخاطر يحول بذهن المكيين ، ألم يكن هناك معارك وقتال ودماء بين المكيين والمسلمين ؟ ألم يجرون الحديد والنار إلى المدينة ؟ ألم يألبوا العرب واليهود ضد المسلمين ؟ ألم يقتلوا من المسلمين الكثير ؟ ألم يقفوا في وجه الرسول والدعوة الإسلامية ؟ .

وهاهي جيوش المسلمين تدخل مكة من كل حدب وصوب رافعة رايات العزة والنصر ، فحق للمسلمين أن يشعروا بنشوة النصر ويذيقوا أعداءهم مرارة الذل والهزيمة ، وحق للرسول أن يدخل مكة مجللا بأكاليل المجد والغار تحوطه أناشيد النصر وأهازيج الظفر ، وعلى يساره وعلى يمينه أركان حربه ، ويترك جنوده تعيث فسادا ودمارا وحرقا ونهبا في مكة ، أليس هذا قانون الحرب ؟ .

أليس هذا ما يخوله قانون الحرب للمنتصر ؟ .

نعم ، ولكن المسلمين لم ينتصروا ، والرسول لم ينتصر !.

وإنما النصر كان لدين الله ، والتي ارتفعت وأعزت هي كلمة الله .

انظر لعظمة الشخصية حينما تتفتح أمامها معارج الشرف والنبل والرقي والسمو .

لم يمتط رسول الله صهوة جواده ، و كان في الإمكان أن يفعل ذلك ، وطبيعة الأمور تحتم ذلك ، القائد الأعلى للجيوش وهي تدق أبواب عاصمة ومعقل أعرق وأقوى وأمنع المدن في الجزيرة العربية ... أم القرى .

ركب ناقته .... المشهد يدل على الوداعة والتسامح والرحمة والرفق .

لم تكن هناك مشاعر الفخر والتيه والفخر بالنصر تملأ قلب الرسول ، حتى وان شعر الرسول بهذا ، فهذا حقه ، بعد أن ترك أحب البلاد إليه بالأمس ، وقد دفعوا بمن يتبعه ليقتله ، ورصدوا مكافآت عظيمة لذلك ، وأزاقوا الرسول والمسلمين الكثير من الآلام والعذاب والمعاناة ... فمن حقه اليوم أن يضمد تلك الجراح ، وأن يشفي هذا الغليل ، وتذوق نفسه حلاوة النصر .

لا ... كل تلك المشاعر لم تجد مكانا في قلب الرسول ، أو لم يشأ الرسول أن يعطي لها حيزا من مشاعره ، بل لم يفكر لحظة في تلك الأمور .

فإذا كان ذاق والمسلمون الكثير من العذاب والمعاناة ، فقد كان هذا في سبيل الله ، وإذا انتصر وظفر بأعدائه أو خصومه هنا فبفضل الله ومنته .

إذن يجب أن ينسب الفضل والإحسان لله فقط .

دخل رسول الله - ﷺ - باب مكة - والعين والقلوب والعقول معلقة به- راكبا ناقته خاضعا منحنيا حتى لامست أطراف لحيته رحال ناقته .... هذا مشهد الرسول .

أما مشهد المسلمين - الجيش - فالسيوف في أغمادها والسكينة والهدوء يهيمنان على الجنود ، العيون تدمع حينما تحتضن ربوع مكة ونواحيها ، والقلوب تخفق قد أذابها الحنين والشوق إلى مكة وأهلها ، هناك أيادى تتصافح وأجساد تتعانق ، حلاوة وأنس اللقاء قد أزال الكثير ممن الكراهية والحقد والغضب والثورة . الشمس تطل على المشهد من عليائها صافية هادئة دافئة ، ونسيم رقيق يحمل الخزامى من بعض البساتين القريبة ، وأصوات متهدجة متضرعة قد شفها الحنين وأترعتها السعادة والسرور .

خرج أهل مكة عن بكرة أبيهم ، ملتفين برسول الله ، من لم يكن قد آمن فقد آمن ، من كان يشك فقد تبدل شكه إلى يقين الآن ، من لم يكن يحبه فقد أحبه من كان يكرهه ويمقته فقد تبدل كرهه ومقته إلى إجلال واحترام .

" وأصبحت ((أم القرى)) وقد قيد الرعب حركاتها ، واسترخت تجاه القدر المنساق عليها فاختفى الرجال وراء الأبواب الموصدة ، أو اجتمعوا في المسجد الحرام يرقبون وهم واجمون ، على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ، ورسول الله على ناقته ، تتوج هامته عمامة دسماء ورأسه خفيض من شدة الخشوع لله ، لقد انحنى على رحله وبدا عليه التواضع الجم حتى كان عثنونه يمس واسطة الرحل .

إن الموكب الفخم المهيب الذي ينساب به حثيثا إلى جوف الحرم ، والفيلق الدارع يحف به ينتظر إشارة منه فلا يبقى بمكة شيء آمن ، إن هذا الفتح الا ليذكره بماض طويل الفصول : كيف خرج مطاردا ؟ وكيف يعود اليوم منصورا مؤيدا ! وأي كرامة عظمى حفه الله بها في هذا الصباح الميمون ! وكلما استشعر هذه النعماء إزداد لله على راحلته خشوعا وانحناء . ويبدو أن هناك عواطف أخرى كانت تجيش في بعض الصدور .

فإن ((سعد بن عبادة)) زعيم الأوس ، ذكر ما فعل أهل مكة ، وما فرطوا في جنب الله ، ثم شمر بزمام القوة في يده فصاح : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا .

وبلغت هذه الكلمة مسامه الرسول - ﷺ - فقال : ((بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشا)) وامر ان ينزع اللواء من سعد ويدفع إلى ابنه ؛ مخافة أن تكون لسعد صولة في الناس .

وسار رسول الله - ﷺ - فدخل مكة من أعلاها ، وأمر قادة جيشه الا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، فدخلت سائر الفرق من أنحاء مكة الأخرى "[١٦١].

١٦١- فقه السيرة - الشيخ محمد الغزالي - صفحة (٣٢٧- ٣٢٨)

obeikandl.com

الختام

قليلة - أو نادرة - تلك الكتب التي تصادف بدايات مشجعة ومحفزة للكاتب أن يكتب . ولكن في إكمالها أو إتمامها أو ختامها يحار في كيفية الإكمال والإتمام والختام . فهناك ألاف الأسباب التي تدفع دفعا إلى الكتابة عن محمد - ﷺ - ومع ذلك فعندما تقترب من النهاية أو الختام ، لا تجد سببا واحدا لإكمال ما كتبته أو وضع خاتمة له ؛ لأنه يظهر سؤال عويص بحق ... فإذا كان في الختام يلخص الكاتب ما أنجزه أو خلاصة ما توصل إليه أو ما أضافه من جديد لموضوع الكتاب أو لصاحب سيرة الكتاب ، فحينئذ وعندئذ لا يجد الكاتب فيما كتبه ما يمكن أن يسمى إنجاز أو إضافة . وليس هذا راجعا إلى هوان أو تفاهة ما كتب ولكن لاتساع وعمق وشمول عظمة وجلال وقدر صاحب السيرة ... مثل الكاتب في ذلك مثل الذي يقصد المحيط ويأتي بقطرة ، ويظن أن معه شيئا يمثل المحيط .

لذلك فإن سيرة محمد ستظل سجلا مفتوحا يكتب سطوره الكاتبون على مر العصور ، ولا أظن أنهم سيصلون في يوم من الأيام إلى كتابة الصفحة الأخيرة .

وستظل الأمم تقرأ ما كتب ويكتب وسيكتب عن محمد ، ولا أظن أنهم سيصلون إلى قناعة أنهم استنفدوا الغرض والمقصد والهدف من دراسة والبحث في شخصية محمد والوصول إلى تفسير وجلاء جوانب ونواحي عظمة وجلال ورقي وسمو تلك الشخصية . ولعل البعض يعتقد أننا نبالغ في إضفاء الكثير من المشاعر العاطفية غير المنطقية او العقلية على شخصية محمد ، وحجتهم في ذلك : أن كل ما وصول إليه محمد وكل ما حققه ليس الفضل خالصا إليه ، ولكن الفضل كل الفضل إلى الله - عز وجل - الذي أيده بعونه وبالقرآن ، وإن أي شخص يؤيد بهذين سيصل - لا شك - إلى ما وصل إليه محمد !

وحجتهم تلك نتفق معهم في جانب منها ونختلف معهم في جانب آخر.

أما ما وصل إليه محمد وما حققه بفضل وعون وتوفيق الله ، فهذا ما نتفق فيه ولا أظن أن هناك من يماري في ذلك .

أما أن أي شخص كان سينهض ويؤدي ما قام به محمد فهذا ما نختلف معهم فيه ، لأن الله عزوجل لم يصطف ويختر محمدا إلا لأنه قد تجمعت صفات وسمات ومميزات لم تتجمع في أحد غيره ، وعلم الله – عزوجل – أن هذا الإنسان بما جمعه من صفات وخلال مؤهل وجدير أن ينهض بأداء أعظم وأجل رسالة من السماء إلى أهل الأرض ، وبتبليغ أرقي وأسمى دعوة للإنسانية .

إذن الله لا يؤيد إلا من استحق التأييد .

والله لا يعين إلا من هو جدير بهذا العون .

والله لا يوفق إلا من بذل من الجهد والنصب ما يتساوى وهذا التوفيق .

ويوم أن علم وأيقن محمد أن الله قد اصطفاه ليكون بشيرا ونذيرا ، آلى على نفسه ونذر نفسه لتلك الرسالة ، وأنه لا يسير على تلك الأرض ولا يتنفس ولا يحيا إلا ليبلغ ما أؤمر بتبليغه ، وقد يصل به الأمر أن يضحي بنفسه – مع أنه لم يكلف بذلك – في سبيل أن يبلغ الرسالة .

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ الكهف: ٦

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٣

لقد أدرك محمد أنه بتلك الدعوة – وليس بغيرها – وبهذا الدين – وليس بغيره – سينصف الإنسان كما لم ينصف من قبل ، أيما كان جنسه وموطنه ، وأن تلك الدعوة تضع الإنسان في موضعه الصحيح كما أراده الله أن يكون ، موحدا مكرما عزيزا شريفا ، يليق بأن يكون خليفة له في هذه الأرض ، وأن تلك الدعوة

ستضع نهاية لشقاء وبؤس وعذاب الإنسان على تلك الأرض ، وستحرره من جميع وكل صور وأشكال العبودية التي كان يحمل إصرها على مدى الآف السنين ، والأهم أنها ستصحح وجهته إلى الله الواحد الأحد ، وتهديه إلى خالقه بعد أن ضل عنه ضلالا بعيدا " رسالة محمد ﷺ رسالة إلهية ، قوامها أن الله حق وهدى ، وأن الإيمان به جل وعلا مطلوب لأنه حق وهدى . هذا الإيمان أعلى وأقدس من كل إيمان ، لأنه إيمان بالحق والهدى ، لم تكن زعامة محمد على قومه مناط تلك الرسالة ، لأنه جاء بها بشرا كسائر البشر ، عليه من أمانة الهداية ما على الإنسان للإنسان ، زعيما كان أو غير زعيم . ولم تكن منفعة الأمة العربية مناط تلك الرسالة لأنها إيمان برب العالمين ، ولا فضل فيها لعربي على أعجمي ، ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى ، ولم تكن مغاضاة لوعود ، لأن الإسلام لم يعد أحدا من العالمين بغير ما وعد به الناس كافة في جميع البقاع والأرضين "[١٦٢] .

وحينما أيقن محمد ﷺ أنه آخر الأنبياء والرسل ، توافر لديه شعور لم يتوافر للأنبياء من قبله ، فكل الأنبياء والرسل كانوا يعلمون بشكل أو آخر أنهم حلقة في سلسلة ، سبقهم آخرون وسوف يأتي بعدهم آخرون ، وأنهم لزمان معين ومحدد ، وأنهم لقوم دون قوم أو لفئة دون فئة إلا محمد فقد كان يعلم أنه الخاتم المكمل ، المتمم ، وأن ما أتى به أو ما أرسل به سيظل وسيبقى وسيدوم إلى أن تقوم الساعة ، هذا الشعور الذي ملأ أفئدته ﷺ ، أن دعوته ورسالته ليست خاصة بزمان معين أو محدد ، وليست لقوم دون قوم ،بل هي لكل الأزمنة ، ولكل الناس هذا الشعور كان له قدر كبير وعظيم في تشكيل شخصيته الإنسانية ، بل أكاد أقول أنه المحور الرئيس الذي دارت عليه أو حوله شخصيته ،فأدى رسالته كما لم يؤدها أحد وبلغ دعوته كما لم يبلغها أحد ، وتحققت فيه وبه البشرية والإنسانية والنبوة

١٦٢- مطلع النور – عباس محمود العقاد – صفحة (١٥٢-١٥٣)

والعبودية كما لم تتحقق في أحد من الأنبياء ، فإذا كان للأنبياء والرسل مكانة ومنزلة عظيمة عند الإنسانية ، فهم مصابيح الهدى وهم شموس الرشاد ، بهم ومعهم ارتفعت وارتقت البشرية عن جنس الدواب ، ومن خلالهم تلمس الناس بأرواحهم نعم ومنن التوحيد ، حينما قدح الأنبياء زند جوهر الجبلة الإنسانية لتبحث عن حقيقتها وسر وجودها ، وبالتالي تبحث عن دلائل وعظمة الخالق الأعلى ، فإن صورة النبي قبل محمد تختلف عنها بعد محمد ، قبل محمد كانت صورة النبي تتسم بالكثير من المرارة والحزن والأسى ، بسبب أن ما جاءوا من أجله أو ما كانوا يتمنونه لم يحدث ،ما بدأوه لم يكتمل ، ما حلموا به لم يتجسد حقيقة على الأرض ما وهبوا وما نذروا أنفسهم لم يتم إنجازه ، أو تم ولكن ليس على الصورة التي كانوا يريدونها ، أما مع محمد – عليه السلام – فقد اعاد لها أو منحها – الصورة – كل شموخها وجلالها وعظمتها وكبريائها وعزتها وقوتها ، منذ اللحظة الأولى أقسم على أن يتم هذا الأمر ، وإلا يهلك دونه ، وكفاح وجهاد ونضال الرسول وتحمل وصبر الرسول معروف حتى وصل إلى تلك المكانة والمنزلة العظمى والتي قال الله في حقه:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ النساء ٤١

ومن قال الله – عز وجل – في حقه هذا ، فماذا يملك أحد أن يقول بعد ذلك؟!

ولكن نحن نكتب عن محمد – كما قلت في أحد فصول الكتاب – لا لنضيف إليه شيئا ، ولكن لنأخذ منه أشياء ، نقتبس منه ، نهتدي ، نسترشد ، فالإنسانية – اليوم – في حاجة ماسة أن تدرس وتبحث وتقف طويلا طويلا أمامه ، غاضة الطرف ، منكسة الهامة ، معفرة الجبين ، أن فرطت أو لم تعمل بما في ميراثه من العلم والحكمة والأخلاق والتعاليم ،والإنسان في حاجة ملحة أن يعرف ويعلم ويدرك أن هناك إنسانا قد جاهد جهادا مريرا ، وكافح كفاحا عظيما ، وتحدى اليأس

وقاوم الحزن والخور والضعف ، وحارب جحافل وجيوش الظلم والظلام ، وانتصر على أعداء الحياة ، ليجعل للوجود قيمة ،وللإنسان عزة وكرامة .

فإذا كانت الكتابة عن شخصية مثل شخصية محمد – ﷺ عسيرة – فإن الأشد عسرا أن تختم هذا الكتاب .

وكأن قدر الإنسانية أن تظل تلهث وتحري سراعا وراء سيرة محمد – عليه السلام – غير مدركة – بعد ذلك – إلا ما يتناسب مع قدرتها وطاقتها وسعتها ، وكل ذلك يقصر على أن يكون نظيرا أو كفئا لشخصية سيد الأنبياء وأمير رسل الله .

obeikandl.com

سـيرة ذاتـيـة

الاسم: محمود محمد محمود القلينى

عضو اتحاد الكتاب بالقاهرة - عضوية عاملة رقم ١٩٧٧ .

الهاتف: ٠٠٢٠٤٥٢٣٢٠٠٣٩

النقال: ٠٠٢٠١٠٦١٤١٤١٢٤

البريد الالكتروني: *elkellenymahmoud@yahoo.com*

الأعمال المنـشورة :

١- **إنهم يذهبون** : (قصص قصيرة) دار الشعب بالقاهرة -١٩٨٢.

٢- **الدجال والشيطان** : (روايـة) مركزمعروف بالأسكندرية -١٩٨٥.

٣- **إخناتون والكهنة** : (مسرحية) الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة-١٩٩٥.

٤- **محنة الإمام أحمد بن حنبل**: (مسرحية) الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٧.

٥- **مصرع الخراسانى** : (مسرحية) الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة٢٠٠٢.

٦- **يوظا فى مجلس الشعب**: (مسرحية) الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة.

٧- **غائب لا يعود** : (مسرحية) الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة .

٨- **الفكر الإسلامى ومستجدات العصر**: (كتاب) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ٢٠٠٥ .

٩- **عش حياتك سعيدا** : (كتاب) مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار - ٢٠٠٥.

obeikandl.com

١٠- **النساء فقدن عروشهن** :(كتاب) مكتبة العلم والإيمان بالمنصورة ٢٠٠٦.

١١- **العمرية- في رحاب عمر بن الخطاب**:(كتاب) دار العلم والإيمان بدسوق ٢٠٠٧.

١٢- **أمير الصحافة العربية** : (كتاب) مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار٢٠٠٩ .

١٣- **شخصية موسى النبى** : (كتاب) مكتبة بستان المعرفة٢٠١١ .

١٤ -**الإسكندرية عناقيد العشق والغضب**:(روايه)مكتبة بستان المعرفة ٢٠١١.

١٥- **الثورة في وجدان المصريين**: (كتاب) مكتبة بستان المعرفة ٢٠١٢.

١٦- **الباحثون عن الله**: (كتاب) دار العلم والإيمان بدسوق٢٠١٣.

١٧- **الخروج من الجلد**:(رواية)مكتبة بستان المعرفة٢٠١٣.

١٨- **بلد راكبها عفريت** : (مسرحية) الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٠.

الجوائـــز :

١- جائزة التأليف المسرحى من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية محنة الإمام أحمد .

٢- جائزة التأليف المسرحى من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية إخناتون والكهنة .

٣- جائزة التأليف المسرحى من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية مصرع الخراسانى .

٤- جائزة الدراسات النقدية من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن دراسة بعنوان (الذاتية والقيم الوجودية فى أدب إبراهيم عبد القادر المازنى).

٥- جائزة الدراسات النقدية من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن دراسة بعنوان (قيم ومعايير فى أدب يوسف إدريس) .

٦- جائزة المقالة النقدية من المجلس الأعلى للثقافة عن دراسة على قصة (الطريق) لنجيب محفوظ.

٧- جائزة من نادى أبها بالمملكة العربية السعودية عن مسرحية محنة الإمام أحمد بن حنبل ١٤١٧هـ

٨- جائزة من نادى القصة بالقاهرة عن رواية بعنوان (قوس قزح) ٢٠٠١.

obeikandl.com